« والرجل الذى يقـدر عليهـا هو رجل ممتاز فى خلقتـه الطبيعية كالمرأة التى تقـدر عليهـا • وكلاهما زوج أصلح من غيره للبقـاء وانجاب الأبنـاء

« فأسخف السخف أن يظن بالحضارة المدنيـة أنهـا رخصة تبيح التهافت على المتعـة ونسيان الحواجز الجنسية •• لأن التهافت نقص فى الخلقـة قبـل أن يكون نقصـا فى الآداب الاجتماعيـة وهـذا النقص معيب وخيم العقبى ، وإن لم تحرمه الآداب ••

« وسيطول التبديل والتعـديل فى العرف والتشريع والشمائل المحبوبة بين النـاس كلما تطاولت الأجيـال • وسيقول كل ذى رأى قوله الذى يجوز فيـه الجـدال • ويبقى حكم واحـد لا تبـديل له ، وقول واحـد لا يجوز الجدال فيـه ، وهو أن الاحتجاز قوام أخلاق الأنوثة ، وان المرأة التى تنساه هى حيوان ناقص فى تكوينـه ، وليس قصـارى القول فيهـا إنهـا فرد مقصر فى حقوق المجتمع والأسرة • وان مساك الأخلاق جميعا — ما أوجبتـه الفطرة وما أوجبه المجتمع — هـو ضبط النفس ، والترفع عن مطـاوعة كل عارضـة من عوارض الأهـواء »

وقـد سبقت فى هـذا الكتـاب « المرأة فى القرآن الكريم » نبـذة عن التناقض بين المرأة الطبيعية والمرأة الاجتماعية ، وهو بحث له استطراد يناسبه فى الكلام على تناقض المرأة من كتاب « هـذه الشجرة » ختمناه بما يلى :

« هى أبدا بين نقيضين فى أمومتهـا وفى حبهـا ، وذلك هو التناقض الذى لا حيـلة لهـا فيـه ، ولا يفجـأ الرجال منهـا إلا كمـا يفجؤها هى على غير ما تنتظر ، وعلى غير ما يقع لهـا فى تدبير

« فمن الخطأ أن يرد على الخاطر أن التنـاقض من دهاء المرأة وتدبيرها ، أو من ختلهـا وخداعها ، فهى مخدوعة به قبل أن تخدع سواها ، وهى فى قبضته فريسـة لا تملك ما تريد

« ولا بـد من التنـاقض فى طبع الأنثى ، لأنهـا شخصية حيـة خاضعة للمؤثرات التى تتناوبهـا من عـدة جهـات ، وهى كما أسلفنا فى الفصل السابق مستجيبة للأثر الحاضر ، وقـد تبـدهها الآثار الحاضرة من كل صوب ، لا من صوب واحـد